

الباب الأول

مصادر العقائد المسيحية

● العهد الجديد

● الأناجيل

الفصل الأول

العهد الجديد

مقدمة :

يتكون « الكتاب المقدس » الذي نجاه بين أيدينا اليوم من جزئين رئيسيين هما « العهد القديم » و « العهد الجديد » .

« ويتكون العهد القديم - حسب عقيدة البروتستانت - من ٣٩ سفرًا بخلاف ملحق يعرف بالأبوكريفا (الأسفار المحذوفة) ، على حين تضيف الطوائف (المسيحية) الأخرى مثل الكاثوليك والإنجيليين والكنائس الأرثوذكسية تلك الأسفار المحذوفة - وعددها ١٤ سفرًا - إلى أسفار العهد القديم وبذلك يصبح مجموع أسفاره ٥٣ سفرًا ..

ويتكون العهد القديم (بدوره) من ثلاثة أجزاء (فرعية) هي :

١ - الناموس - وهو يتكون من أسفار التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية (وهذه الأسفار تنسب إلى موسى وتعرف بالتوراة) .

٢ - الأنبياء - وهو ينقسم إلى جزئين :

(أ) الأنبياء السابقين ، ويتكون من أسفار : يشوع - القضاة - صموئيل (الأول والثاني) - الملوك (الأول والثاني) .

(ب) الأنبياء المتأخرين ، ويتكون من أسفار : أشعياء - أرمياء - حزقيال - الاثني عشر نبيا الأصغر (هوشع - يوثيل - عاموس -

عوبديا - يونان - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفييا - حجي -
زكريا - ملاخي) .

٣ - الكتب - وهي تتكون من أسفار :

(أ) المزامير - الأمثال - أيوب .

(ب) راعوث - نشيد الأنشاد - الجامعة - مرثي أرمياء - استير .

(ح) دانيال - عزرا - نحميا - أخبار الأيام (الأول والثاني) .

وقد اكتسبت كل من الأجزاء الثلاثة الرئيسية للعهد القديم صبغتها
التقانونية على مدى قرون طويلة بيانها كالاتي :

اكتمل التاموس شرعيته حوالي عام ٤٠٠ ق . م - والأنبياء حوالي
عام ٢٠٠ ق . م - وأما الكتب فكانت حوالي عام ٩٠ ميلادية «(١)» .

ويؤمن اليهود بهذه الأسفار التسعة والثلاثين - ولذلك يمكن تعريفها
بأنها الأسفار اليهودية .

★

أما أسفار العهد الجديد - التي تكون الجزء الرئيسي الثاني من الكتاب
المقدس - فهي الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة
على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف .

وفي هذا الفصل سوف ندرس «العهد الجديد» مسترشدين بملخص
أبحاث الثقات من علماء المسيحية .

الصورة العامة للعهد الجديد

العهد الجديد ملحق غير متجانس للعهد القديم

يقول فردريك جرانث : « إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهداً جديداً يتميز عن العهد القديم ، فقد كان العهدان (اللذان نعرفهما الآن) شيئاً واحداً متصلاً . لقد كان الناموس والأنبياء والمزامير - كما يذكر لوقا ٢٤ : ٤٤ - كتباً مألوفة لكل اليهود بما فيهم اليهود المسيحيين في فلسطين وغيرها ، كما كانت مألوفة لكل المنتصرين الذين كانوا على صلة بالمعابد اليهودية .

وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية ، وفي مقدمتها رسائل بولس التي كانت تقرأ على الجمهور في اجتماعات العبادة (كولوسي ٤ : ١٦) ثم تلها رسائل أخرى وأناجيل - فقد كان ينظر إليها جميعاً باعتبارها اضافات صحيحة أو ملحق لما في أسفار الناموس والأنبياء التي كانت تقرأ أسبوعياً في المعابد اليهودية والكنائس المسيحية .

وعندما ننظر في العهد الجديد فإننا لا نتوقع أن نجد عقيدة محددة وثابتة ، أو تفصيلاً كاملاً لتنظيم الكنيسة ، بل العكس من ذلك تماماً ، فإننا نتوقع - وهذا ما نجده فعلاً .. اقتراحات لم يعمل بها أبداً ، وحلول تجريبية قصد التغاضي عنها في مستقبل تطور الكنيسة .

إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع ، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسرده من أوله إلى آخره ، ولكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة ، وإن الإنسان ليستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التي سار فيها التفكير المسيحي ، كما يتتبع - إلى حد ما - التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة ، وكذلك مراحل التطور الأولى لعتيدة الكنيسة وأخلاقياتها وعباداتها وتنظيماتها (٢) .

(٢) المرجع رقم (٤) ص ١٢ ، ١٥ ، ١٧ .

نظرة الطوائف المسيحية للعهد الجديد

« إن العقائد التي تتبناها مختلف الكنائس ومدارس الفكر اللاهوتي ، فيما يتعلق بالسلطة الروحية للعهد الجديد ، تختلف كثيراً من واحدة لأخرى .

فالكنيسة الكاثوليكية تتمسك بشدة بعقيدة الإلهام التي تؤكد القول بها في مجمع الفاتيكان الذي عقد بروما عام ١٨٦١ - ١٨٧٠ ، والذي تقرر فيه أن الكتب القانونية لكل من العهدين القديم والجديد قد كتبت بإلهام من الروح القدس ، مؤلفها ، وقد أعطيت هكذا للكنيسة .

كذلك فإن طائفة المحافظين من البروتستانت يقبلون عقيدة الإلهام ، بينما يعتقد الليبراليون منهم أن كتب العهد الجديد إنما هي وثائق تسجل بداية العقيدة المسيحية وهي مثل أى من الوثائق التاريخية القديمة ، معرضة للبحث العلمي والنقد اللغوي» (٢) .

ويعتقد الأورثوذكس كما يقول تيموثي وير : « أن الكتاب المقدس هو التعبير الأسمى عن وحى الله للإنسان وأن على المسيحيين أن يكونوا دائماً أهل الكتاب ..

وللكنيسة الأورثوذكسية نفس العهد الجديد المتداول بين المسيحيين الآخرين ، وأما بالنسبة لقانونية أسفار العهد القديم فإنها تستخدم الترجمة الإغريقية القديمة لهذه الأسفار والتي تعرف باسم السبعينية (التي تشتمل على ٣٩ سفراً الموجودة في النسخة العبرية بالإضافة إلى الأسفار المشكوك فيها التي تعرف بالأبوكريفيا ، هذا مع العلم بأن كلا من النسختين العبرية والإغريقية مختلفتان في كثير من المواضع) .

وتعتقد الأورثوذكسية أنه لو كانت المسيحية صادقة ، فلا يوجد ما تخشاه من التساؤلات البريئة ، ولهذا فإنها لا تمنع الدراسات النقدية والتاريخية للكتاب المقدس على الرغم من أنها تعتبر الكنيسة صاحبة السلطة الشرعية في تفسير الكتب المقدسة» (٤) .

محتويات العهد الجديد

يقول جنر لانسز كوفسكى : «يحتوى العهد الجديد على السبعة وعشرين كتابا التالية :

الأنجيل الأربعة - وفق روايات : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .
سفر أعمال الرسل .

رسائل بولس إلى : أهل رومية - أهل كورنثوس الأولى والثانية -
أهل غلاطية - أهل أفسس - أهل كولوسى - أهل تسالونيكى الأولى
والثانية - تيموثاوس الأولى والثانية - تيطس - فليمون - العبرانيين .
(وبذلك يبلغ مجموع رسائل بولس ١٤ ، وبشك في نسب بعضها
إليه وخاصة الأخيرة كما سنرى فيما بعد) .

الرسائل الكاثوليكية (العامة) - وهى رسالة : بطرس الأولى والثانية
- يوحنا الأولى والثانية والثالثة - يعقوب - يهوذا .

(ومجموع هذه الرسائل ٧ ، وقد عرفت باسم الرسائل الكاثوليكية أى
العامة لأنها ليست كرسائل بولس الموجهة إلى كنائس خاصة أو أشخاص
معينين ، بل لكل الكنائس) .
وأخيراً - رؤيا يوحنا .

وفى فترة المائة وخمسين عاما الأخيرة تحقق العلماء من أن الأنجيل
الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) تختلف عن الإنجيل الرابع (يوحنا)

(٤) المرجع رقم (١١) ص ٢٠٧ - ٢٩٠ .

أسلوباً ومضموناً - وأن الأناجيل الثلاثة الأولى متقاربة بدرجة كبيرة ، ولما كان من اللازم دراستها معا فقد سميت بالأناجيل المتشابهة .

إن صلة كل منها بالآخر هي أساس ما يعرف بنظرية المصدرين ، والتي تقرر بمقتضاها أن أقصر الإنجيل - وهو إنجيل مرقس - قد استخدمه الإنجيليين المطولين ، وهو لذلك يعتبر مصدراً لكل من متى ولوقا .

كذلك فإن متى ولوقا يشتركان في موضوعات محددة تتكون غالباً من كلمات يسوع وهذه المادة المشتركة في هذين الإنجيليين ترجع إلى مصدر ثان . .

إن وجود الأناجيل المتشابهة يرجع إلى تأثير حياة يسوع الأرضية ورسالته كما تناقلتها الكنيسة . وهذه الأناجيل تأخذ شكل دليل المتجولين فيما تعرضه من رواياتها التاريخية .

فهي تربط بدء رسالة يسوع بين الجماهير بمهمة يوحنا المعمدان (يحيى ابن زكريا) وهي تصف أسفاره في الجليل ، وتعطي روايات عن مواعظه التي بلغت ذروتها في موعظة الجبل ، كما تذكر معجزاته . وأخيراً فإنها تصف رحلته الأخيرة إلى أورشليم التي تؤدي إلى إدانته (من شيوخ اليهود) . ثم تختتم الأناجيل المتشابهة بروايات عن ظهور (المسيح) الذي أقامه الله من الأموات .

إن الرواية التي يعلنها يسوع جزئياً على شكل أمثال يتكلم بها ، هي الاقتراب الوشيك لملكوت الله ، والتي يربطها بموعظة يوحنا المعمدان الذي قال : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات متى ٣ : ٢ وحسب تعاليم يسوع فإن المطلوب هو تغيير كلي لتطلعات المستقبل وهو ما يمكن تحقيقه فقط باتباع الوصيتين العظيمتين المذكورتين في متى ٢٢ : ٣٧ ، ومرقس ١٢ : ٣٠ (رداً على سؤال وجهه أحد التلاميذ إلى يسوع قائلاً : يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس) ؟

فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى .

والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء .

إن يسوع لا يفسر تعليمه الجديد على أنه حيود عن شريعة العهد القديم ، بل إنه يعتبر ذلك مكملًا لها - فهو يقول :

لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل - متى ٥ : ١٧ .

لقد وصلتنا خمسة كتب من أسفار العهد الجديد تنسب إلى يوحنا وهي : إنجيل يوحنا وثلاث رسائل وسفر الرؤيا . ومن المحتمل أن يكون الإنجيل والرسالة الأولى قد كتبهما نفس المؤلف ، الذي نجد الكنيسة قد أشارت إليه منذ نهاية القرن الثاني بأنه : التلميذ الذي كان يحبه يسوع .

إن إنجيل يوحنا يختلف اختلافاً بيناً عن الثلاثة المتشابهة ، فهو لا يذكر أى شيء عن رواية الميلاد لكنه يبدأ بمقدمة يذكر فيها أن أصل يسوع يرجع إلى أزلية الله ، حيث يصف يسوع أنه الكلمة التي صارت جسداً (يوحنا ١ : ١ ، ١٤) .

وبالنسبة للروايات التي تحكى نشاط يسوع الجماهيرى ، فانه توجد اختلافات في الزمان والمكان إذا قورنت بنظيرها في الأناجيل المتشابهة ، كما يوجد في يوحنا تأكيد ضعيف على مجيء ملكوت الله ، مع تركيز على الجانب الإلهي للمخلص (يسوع) . وبدلاً من قصص روايات عن الأحداث ذاتها ، نجد يوحنا يقدم لنا شروحات وتفسيرات مبينة على الاعتقاد في لاهوت المسيح .

ويعتبر سفر أعمال الرسل ملحماً للإنجيل الثالث ، أو بتعبير آخر فإنه يكون الجزء الثاني من رواية لوقا . ونجد هذا السفر - مثل الأناجيل - لا يهتم بالتاريخ ، فالغرض منه تسجيل أعمال التلاميذ ، وبيان كيفية

تكوين الكنيسة الأولى ، وتوسع إرساليات التبشير المسيحية بعيدا إلى روما كذلك نجد هذا الكتاب يهاجم الوثنية .

وتكون الرسائل إلى كتبها بولس من السجن مجموعة قائمة بذاتها ، فهي تتكون من رسائله إلى : أهل فيليبي - أهل كولوסי - أهل أفسس - فليمون - هذا ، ولا تزال حقيقة مؤلف الرسالة إلى أهل أفسس موضع جدل .

أما الرسالة إلى العبرانيين التي تعتبر رسالة تعاليم أضيفت إلى الأسفار القانونية كاحدى الرسائل البولسية فقد أصبح من المؤكد الآن أن بولس لم يكتبها .

كذلك نجد من بين مجموعة الرسائل التي تعرف باسم ما بعد بولس ، أن الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس لم يكتبها بولس .

هذا - ولقد أسقط عدد كبير من الكتب المسيحية الأولى ، من العهد الجديد القانوني ، وهذه تتكون أساساً من الأناجيل المحذوفة مثل : أناجيل العبريين ، والمصريين ، وبطرس .. وأسفار رؤيا غير معترف بها مثل رؤيا بطرس ، وراعى هرمس .. وخطابات الآباء الرسولين .

على أن التاريخ المضبوط الذى تحددت فيه قانونية أسفار العهد الجديد غير مؤكد .^(٥)

اللغة الأصلية التي كتب بها العهد الجديد

« إن العهد الجديد من أوله إلى آخره هو كتاب أغريقي . فعلى الرغم من أن التعاليم الأولى الشفوية التي تختص بأعمال يسوع وأقواله ، لاشك ، إنها كانت متداولة بالارامية - وهي اللغة كانت سارية في فلسطين وبعض

أجزاء الشرق الأدنى ، وبالتأكيد بين اليهود (وهى اللغة التى تكلم بها المسيح وتلاميذه) - فإنه لم يمض وقت طويل قبل أن تترجم هذه التعاليم الشفوية إلى الإغريقية الدارجة ، التى كانت لغة الحديث فى عالم البحر الأبيض المتوسط .

ولا تزال بقايا من الأرامية الأصلية توجد هنا وهناك - فى أسفار العهد الجديد وعلى سبيل المثال ما نجده فى مرقس ٥ : ٤١ ، ١٥ : ٣٤ ، (٦) .
والمثالان المشار إليهما من إنجيل مرقس هما على الترتيب :
« وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومي . الذى تفسره يا صبية لك أقول قومي » .

« وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا الوى الوى لما شقنتى . الذى تفسره الهى الهى لماذا تركنى » .

عوامل هامة أثرت فى إيجاد العهد الجديد

لقد أثرت عوامل مختلفة فى إيجاد العهد الجديد على الصورة التى وصلنا بها ، وذلك من حيث مادته وتركيبه وجمعه ، ولكن الرأى الغالب هو أن عاملين فقط من بين هذه العوامل ، كان لهما أكبر الأثر فى تشكيل العهد الجديد ، ألا وهما :

١ - عودة المسيح إلى الأرض أو ما يعرف بالحيء الثانى .

٢ - مذهب الغنوسطية ، ويمكن تعريفه فى أبسط صورة بأنه فلسفة تقول بان المادة شر ، وأن الخلاص يأتى عن طريق المعرفة الروحية ، دون الإيمان .

وفى بلى بيان موجز لأثر هذين العاملين .

١ - الحجىء الثانى :

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل - ومنهم تلاميذ المسيح - أن نهاية العالم وشبكة الحدوٲ ، وأن كثيرين من الذين عاشوا فى القرن الأول الميلادى وعاصروا المسيح ، سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة يعقبها عودة المسيح إلى الأرض « فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء » .

لقد كان لهذه الأفكار أثرها الخطير فيما خلفه المسيحيون الأوائل من كتابات ، وفى هذا تقول دائرة المعارف البريطانية :

« إن امتداد الكنيسة المسيحية فى أوروبا خلال القرن الأول ، يبدو فى نظرنا كأنه بداية عهد جديد فى التاريخ ، لكن هذه الحركة كان ينظر إليها من زاوية أخرى بالنسبة للذين شاركوا فى إمتدادها (من المسيحيين الأوائل) فقد كانت فى نظرهم نهاية بدلا من أن تكون بدايه . لقد اعتقدوا أن نهاية الزمان قد غشيتهم ، وأن اكتمالها وشيك وسوف لا يتأخر كثيرا .

إن مؤلفات عصر الرسل والحوارين التى كتبت أغلبها تحت تأثير هذا الاعتقاد ، لم يقصد مؤلفوها أن تكون مرجعا دائما للكنيسة تبقى عبر العصور (اللاحقة) لتكافح على وجه الأرض . لقد كتبت هذه المؤلفات تباعا لتوافق احتياجات الجيل الذى توقع أن يعيش بنهاية التاريخ وبداية إفتتاح رسمى للملكوت الله .

وعلى هذا الأساس فإن العهد الجديد كمجموعة من الكتب المقدسة ، كان عملا لم يخطط له من قبل وكان نتاجا غير منتظر لعصر الرسل والحوارين - ثم ما لبثت حمية العصر الأول أن بردت حين ظهر أن تحقيق

أملها المبكر قد تأخر ، لكنه ترك جماعات كثيرة من المؤمنين ، لم تنزل تحافظ على العقيدة ومثلها العليا التي تعلمتها من المبشرين الأولين « (٧) .

*

ويقول جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى : « لقد اعتقد متى أن العالم المعاصر (للمسيح) الذي يمتلئ بالخطيئة والمرض والموت ، سوف يأتي إلى نهاية سريعة ، وأن يسوع سوف يأتي بمجد ، وأن كل إنسان سيكون إما من الباركين أو من الملعونين (٢٥ : ٣١) .

ولقد اعتقد متى أن هذا سوف يحدث سريعاً قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير في كل مدن إسرائيل (١٠ : ٢٣) ، وقبل أن يكون بعض معاصري يسوع قد ماتوا (١٦ : ٢٨) ، وقبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصر المسيح (٢٤ : ٣٤) .

ومن الواضح أن هذا كله لم يحدث كما توقعه متى .

ورغم أن إنجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذي ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فإننا في الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة . وفي اعتقاد كثير من العلماء أن يسوع نفسه كان يتطلع إلى عودته سريعاً إلى الأرض بعد وفاته ، في مجد وبهاء .

إن الفكرة التي كانت تتردد عن تدخل الله سريعاً في هذا العالم ، وإظهار ذاته كملك يحكم العالم ، ويمحي كل شيء ضد إرادته ، لم تكن هذه مردها للمسيحيين ، فانا لنجد ذلك في كتابات اليهود المعروفة باسم أسفار الرؤيا مثل سفر دانيال . ويبدو أن طائفة اليهود التي انتجت وثائق البحر الميت ، كانت تفكر بهذه الطريقة .

ونحن نعلم من المصادر اليهودية ، أن بعض الناس قد ظهروا في فلسطين أيام المسيح ، وأعلن الواحد منهم أنه المسيا ، أى الملك المرسل من قبل الله ليحكم العالم عند نهاية ذلك العصر . ولقد نجح هؤلاء الأعداء في تحريض الناس على اتباعهم ، وقبول دعاواهم . وعلى هذا - فإن الإعتقاد في النهاية السريعة لذلك العصر ، كان منتشراً في القرن الأول من الميلاد ، ولقد تنفس المسيحيون هواه ، تماماً كمعاصريهم من اليهود .

إننا لا نستطيع أن نأخذ أقوال متى عن نهاية العالم حرفياً ، فقد برهن التاريخ على خطئها « (٨) » .

*

ولقد كان لفكرة الحبىء الثانى الوشيك ، أثرها في كتابات المسيحيين الأوائل وسلوكهم . فبرزت الدعوة إلى التسامح المثالى ، ومجاافة مطالب الحياة وتكريس الرهينة .

ويتفق العلماء على « أن العهد الحديد يعتبر مجموعة من الكتب سطرها أشخاص ، ولو أنهم اختلفوا كثيراً في أشياء أخرى ، فقد اتفقوا في أنهم يعيشون في عالم يتجه سريعاً إلى نهايته .

فهو عالم قد ينجب فيه الرجال والنساء أطفالاً ، لكن أحداً منهم لم يتطلع إلى جيل تال .

إن السبب الرئيسى في انعدام التفكير في الغد ، هو أن ذلك الغد سوف لا يأتى ، وبناء عليه كان الحوض على عدم الزواج ، وإهمال تربية الأولاد وفقدان روح الجماعة ، وعدم الاهتمام بأمور الدنيا - إن كل هذا واضح في العهد الحديد .

ومما يجب ذكره هو أنه على الرغم من أن كاتب رسالة يوحنا الأولى يعلن عن الساعة الأخيرة :

(٨) المرجع رقم (٧) - ص ٢١ - ٢٢ .

(أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة ، وكما سنعلم أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أصداد للمسيح كثيرون . من ها نعلم أنها الساعة الأخيرة - ٢ : ١٨) - فانا نجد في كتابات يوحنا بداية ميل لإعادة تفسير توقعات المسيحيين الأوائل بالنسبة للنهاية السريعة للعالم .

ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعون النهاية الوشيكة للعالم ، فإن الدراسة المتأنية للعقائد اليهودية التي شاعت في الفترة من عهد المكابيين (عام ١٦٨ ق . م) حتى مطلع القرن الأول الميلادى ؛ تبين أن هذه الفكرة لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم ، لكنه التوقع العام للشعب اليهودى (وهو : أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال - لوقا ١٩ : ١١) .

إن هذا الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام ٦٦ م ، وهى الحرب التى انتهت بانقراض الولاية اليهودية وتدمير أورشليم عام ٧٠ م « (٩) .

٢ - الغنوسطية :

« إن مصدر الغنوسطية وجوهرها الحقيقى لا يزال موضع جدل بين العلماء ، فالبعض يراها هرطقة مسيحية ، أو حركة روحانية داخل الاكليروس هددت بتحويل المسيحية إلى خرافة تأملية ، أو هى عقيدة شرك للخلاص عن طريق المعرفة . كما يعتبرها البعض حركة دينية عالمية أقدم من المسيحية ، وكانت تمتد باكتساح داخل الكنيسة الأولى ، كجزء من انتشارها فى كل مكان فى القرنين الثانى والثالث من الميلاد « (١٠) .

(٩) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥٢٣ ، وانظر أيضا كتاب المبشر الشهير

البرت شفيتزر : Von Reimarus zu Werde (1906) وقد ترجم عن

الالمانية الى الانجليزية تحت اسم :

The Quest of the Historical Jesus (1910)

(١٠) المرجع ١٦ - الجزء ٣ - ص ٦٥٣ .

« ولقد أثرت الغنوسية بعمق في الكنيسة المسيحية في القرن الثاني ، وفي العادة نجد اول إشارة لها ترجع إلى سيمون الساحر السامري (أعمال ٨ : ٩ - ٢٤) ، رغم أن أخطر معلمها كانوا رجلا مثل باسيليدس وفالنتينوس في الفترة ١٣٠ - ١٥٠ م .

لقد كانت الغنوسية في أساسياتها ثنائية ، تقول أن المادة والروح في تعارض تام .. وأن الجسد مقبرة للروح . وقد اشتملت على عناصر من التنجيم الشائع ، وافترضت أن الكون المادى شر ، وأن خلق الأرواح الشريرة أو السفلية تأجيج بالعواطف الشريرة ، في ثورة ضد الذات الأعلى الذى تفرد بالوحدانية ..

وعلى ذلك فإن الولادة شر لأنها ، تعنى دخول كائن روحانى إلى مستوى مادى منحط .

كذلك فإن الزواج شر ، لأنه يقود إلى التناسل وإلى عبودية خلال دورة الوجود ، ولذا يجب المحافظة على نقاء الروح بتجنب الزواج ، وعدم تعريض الجسم للدنس الحياة .

إن أصداءلهذه التعاليم توجد في العهد الجديد (مثل : لكن الروح يقول صريحاً أنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم في الإيمان ، تابعين أرواحا وتعاليم شياطين ..

مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من لمؤمنين وعارفي الحق . - ١ - تيموثاوس ٤ : ١ - ٤)

وبجانب الأنواع الكثيرة للفلسفة الغنوسية ، فإن أخطرها ولا شك تلك التى أثرت بعمق في التعاليم المسيحية في المنطقة التى جاء منها الإنجيل الرابع ..

فنجد أن الرسول الإلهى ، أو الشاهد الذى يأتي بالمعرفة المخلصة هو المسيح .. وبالرغم من أنه دخل العالم فإنه لم يتدنس بمواده الطبيعية . لقد كان النور الحقيقى ، والظلام لم يطمسه .

إن هذا يعنى أنه لم يكن ذو جسد مادى ، فقد كان شبها يشبه الإنسان المادى ..

إن جسده غير حقيقى .

ألم يصفه بولس بقوله أنه جاء : فى شبه جسد الخطية (رومية ٨ : ٣) ولم يقل : فى الجسد أو كجسد ، على عكس ما يذكر يوحنا فى إنجيله (١ : ١٤) ، حين يصرح علنا بما يتعارض مع عقيدة بولس ، فيقول : والكلمة صار جسدا .

لقد جاء الإنجيل الرابع ليعارض مثل هذه الأفكار (البولسية والغنوسية) .

ونجد فى الأناجيل الغنوسية ، أنه قبل دق المسامير فى يدي (المصلوب) وقدميه ، فانه قد ترك منزله المؤقت (الجسد) وترك غلافا أجوف على الصليب .

ولم تكن صرخته الأخيرة (على الصليب ، والتي تعرف بصرخة اليأس) : إلهى إلهى ، لم تركنتى ؟ (كما تذكر الأناجيل المعتمدة) - لكنها كانت : قوتى قوتى ، لم تركنتى «(١١) .

فالغنوسية بأنواعها المختلفة ، وأصولها التي جلبتها من الأساطير البدائية ثم غلفتها بالأفكار الميتافيزيقة - قد أثرت أبلغ الأثر فى المسيحية الأولى . فقد أعتنقها الكثيرون من المسيحيين الأوائل وخاصة رجال الكنيسة ، ثم مالبت صراع الأفكار أن اشتد بين هؤلاء وهؤلاء وتمخض عن ذلك إنجيل يوحنا (الإنجيل الرابع وهو أحدث الأناجيل) الذى استحدث فى الكتب المسيحية الأولى تعبيرات فلسفية جديدة مثل :

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله .. كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان .. »

كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم ..

والكلمة صار جسدا وحل بيننا ..

الآب الخال في هو يعمل . صدقوني أني في الآب والآب في ..

في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي ، وأنتم في ، وأنا فيكم ..

لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم ..

ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب في ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني . وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت في ، ليكونوا مكملين إلى واحد ، وليعلم العالم أنك أرسلتني ، وأحببتهم كما أحببتني ، ...

★

ذلك هو الإنجيل الفلسفي الذي أثار مشكلة لاهوت المسيح ، والذي استورد فكرة الحلول - حلول الخالق في المخلوق - من الفلسفات والأقاصيص القديمة ، وجعل الله في المسيح والمسيح في الله ، والمسيح في التلاميذ والتلاميذ في المسيح ..

وجعل الجميع واحدا ، والواحد شاملاً للجميع !!

فرغم ما يقال من أن إنجيل يوحنا قد وضع ليحقق عدة أغراض خطط لها من قبل ، مثل :

تقرير لاهوت المسيح ، ومহারبة الغنوسية التي تأثر بها بولس ، وذلك بالتأكيد على أن المسيح كان جسداً حقيقياً ، إلا أنه لم يلبث أن تلبس بالغنوسية - التي جاء ليقاومها - فإذا بها تتسرب إليه .

يقول تشارلز بوتز : (إن الجزء الأول - وبعض اجزاء أخرى - من إنجيل يوحنا مثل : في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله .. - إن هذا

القول غنوسطية محض .. إن تعاليم يسوع وعقيدته وإيمانه الشخصي - بقدر ما نستطيع استخراجها من الكلمات التي وضعها كتبة الأناجيل - لم تكن أبداً عقيدة التثليث التي إستحدثت في الغنوسطية التي أنشأها بولس ومن جاء بعده ..

ومن المشكوك فيه أن يكون بولس قد أطلع على المجموعة الأولى لمكونات الانجيل الأصلي الذي تكلم عن تعاليم يسوع وأمثاله ومعجزاته في شفاء المرضى - وهي الوثائق التي نفترض أن جزءاً منها على الأقل ، كان مصادر للأناجيل الأربعة القانونية» (١٢) .

لقد كانت العقيدة - عقيدة التثليث - التي تضمنها انجيل يوحنا هي ما قبلته الكنيسة فيما بعد ، رغم مخالفتها للكثير مما في الأناجيل المتشابهة ، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التي تضمنها كذلك نفس هذا الإنجيل ، انجيل يوحنا !! ولقد دفعت هذه الحقيقة علماء المسيحية إلى تقرير « أن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الأناجيل الرابع والثلاثة المتشابهة .

إن الاختلاف بينهم عظيم .. ° لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوقاً بها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة انجيل يوحنا» (١٣) .

متى كتبت الأسفار والرسائل المسيحية

تحدد المراجع المختلفة تواريخ مختلفة من المحتمل أن تكون قد كتبت فيها الأسفار والرسائل المسيحية المختلفة . وفيما يلي بيان يمثل وجهة النظر الشائعة ، حول توقيت كتابة هذه الكتب التي إندرج أغلبها بين دفتي العهد الجديد القانوني :

(١٢) المرجع رقم (١٤) ص ٢٤ ، ١٣٣ .

C.F. Potter : THE LOST YEARS OF JESUS REVEALED

* «if the Synoptics are accepted as authentic, the unauthenticity of John must follow.»

(١٢) المرجع ١٦ - الجزء ١٢ - ص ٧٣ .

التصنيف	إسم الكتاب	مسلسل تاريخ الكتابة (سنة ميلادية)
رسائل بولس (اغلب)	الرسالة الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي	١ ٥٠
	الرسالة إلى أهل غلاطية	٢ ٥١ و ٥٥
	الرسالة الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس	٣ ٥٥
	الرسالة إلى أهل رومية	٤ ٥٦
	الرسالة إلى أهل فيليبى - الرسالة إلى فليمون - الرسالة إلى أهل كولوسى - من المحتمل كذلك الرسالة إلى أهل أفسس	٥ ٥٩ - ٦١
الأنجيل المتشابهة وسفر اعمال الرسل	انجيل مرقس	٦ ٦٨
	انجيل لوقا	٧ ٩٠
	اعمال الرسل	٨ ٩٥
	انجيل متى	٩ ٩٥-١١٢
	رؤيا يوحنا	١٠ ٩٥
مجموعة رسائل كاثوليكية	الرسالة إلى العبرانيين - رسالة بطرس الأولى - رسالة يهوذا - رسالة يعقوب	١١ حوالى ٩٥
	رسالة كليمنت الاولى	١٢ ٩٦-٩٨
رسائل رعوية	الرسالة الاولى والثانية إلى تيموثاوس - الرسالة إلى تيطس	١٣ ١٠٠
	انجيل يوحنا - رسائل يوحنا الاولى والثانية والثالثة .	١٤ ١٠٠-١٢٥
كتب ضد الغنوسطية	رسائل اجناتىوس - رسالة بوليكارب	١٥ ١١٠-١١٥
كتب رسولية متأخرة	رسالة برنابا - تعاليم الاثنى عشر رسولاً	١٦ ١٣٥
	رسالة بطرس الثانية	١٧ ١٥٠
	تحديد قانونية الأنجيل الأربعة - رسالة كليمنت الثانية .	١٨ حوالى ١٥٠

« إن الغرض من هذا الجدول (كما يقول فرد يريك جرانت) لا يهدف إلى التحديد النهائي لتواريخ هذه الكتب ، حيث أننا نجد في أحوال كثيرة أن هذه التواريخ ؛ إما غير مؤكدة أو أنها تقريبية فقط » (١٤) .

*

ومن الملاحظ أن كثيراً من الكتب المسيحية التي يشتمل عليها العهد الجديد ، قد كتبت ثم نسبت إلى أشخاص ، ماتوا أو قتلوا قبل التواريخ المقررة لها بعشرات السنين . مثال ذلك ما ينسب إلى بطرس وبولس اللذين قتلوا قبل عام ٧٠ م بوضع سنين - إذ تنسب إلى الأول : رسالة بطرس الأولى (حوالي عام ٩٥) ، ورسالة بطرس الثانية (عام ١٥٠) ، كما تنسب إلى الثاني الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس ، والرسالة إلى تيطس (عام ١٠٠) .

وفي جميع الأحوال يجب أن نتذكر أن التاريخ المرجح لنهاية حياة المسيح على الأرض ورفعته إلى السماء هو حوالي عام ٣٣ م - وبذلك يكون أقدم الأناجيل (انجيل مرقس) قد كتب بعد رحيل المسيح بنحو ٣٥ عاماً ، وأن أحدث الأناجيل (انجيل يوحنا) قد كتب بعد المسيح بفترة تتراوح ما بين ٧٠ و ٩٠ عاماً - وكل ذلك حدث في عهود اشتهرت بالقسوة والوثنية .

كذلك فإن أقدم الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس الأولى ، كانت رسائل بولس - ذلك الداعية الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ولكنه فجأة أعلن تحوله إلى المسيحية بطريقة إرتاب فيها رسل المسيح وتلاميذه ، ولم تخف ربيتهم إلا بعد أن شهد له برنابا :

« ولما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل - أعمال الرسل ٩ : ٢٦ - ٢٧ » :

وأما برنابا الذى « كان رجلا صالحا وممثلة من الروح القدس والأيمان - أعمال الرسل ١١ : ٢٤ » .

وهو الذى كان فى مواقف كثيرة يرسله التلاميذ مندوبا عنهم والذى صاحب بولس فى كثير من رحلاته التبشيرية - مالبث أن تشاجر معه بولس ثم أفرقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراؤه الخاصة فى الدعوة والتعاليم المسيحية :

« فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر . و برنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرس . وأما بولس فاختار سيلا . . فاجتاز فى سورية وكليكية يشدد الكنائس - أعمال الرسل ١٥ : ٣٩ - ٤١ » .

لكن تعاليم بولس هى التى شاعت وكان لها الغلبة ، كما أن رسائل بولس هى التى سبقت الأناجيل فى الكتابة ، ولم تزل تتقدم عنها فى الاستشهاد بهانى الدراسات والتعليم المسيحى حتى اليوم .

قانونية العهد الجديد

« إن كلمة : قانون ، تعنى (بالأغريقية) مقياس أو معيار . . ولقد أطلق اللفظ : قانونى ، أو قانونية على قائمة الكتب التى قبلتها الكنيسة بوجه عام ، باعتبارها ، كتبت بالهام . .

ويعنى تاريخ قانونية العهد الجديد : تاريخ الكتب التى تم فرزها بالتدرج من بقية المؤلفات المسيحية الأولى ، ثم أضيفت إلى مجموعة الكتب المقدسة اليهودية ، التى احتواها العهد القديم الأخرى .

إن العهد الجديد المكتمل الذى هو بين أيدينا لم يتحدد موقفة تماما قبل القرن الرابع الميلادى .

لقد كانت محتويات العهد الجديد معروفة - على العموم - حوالى

عام ٢٠٠٠م . وأما المحتويات الرئيسية ، ونقصدها ، الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ، فقد قبلت على نطاق واسع . ولقد لحقت الريبة بثلاث أو أربع كتب من تلك التي يشمل عليها العهد الجديد الحالي ، كما كان هناك بعض الخلاف حول إمكانية ضم كتابين أو ثلاثة من الكتب التي تم استبعادها في آخر الأمر .

• إن اختيار (كتب العهد الجديد) لم يتم عن طريق مرسوم صدر عن سنودس أو مجمع بل بالحك الدائم لاستخدامها في الحياة اليومية ، فقد صار ينظر إليها على أنها فريدة القيمة في نواحي التهذيب والتعليم ..

لقد كان هناك تأخير لمدة طويلة ، فيما يتعلق بقانونية كتابين رئيسيين من كتب العهد الجديد . فرغم أن الرسالة إلى العبرانيين قد كتبت في الغرب ربما في روما ، ومن المحتمل في إيطاليا ، فإنها لم تقبل في الغرب لمدة طويلة . إن أسباب هذا التأجيل غير واضحة ، ولعلها ترجع الى عدم التحقق من مؤلفها ، أولأن تعاليمها اللاهوتية وتأويلاتها تبدو غير متفقة مع التعاليم البولسية ، أو أن نظرتها الفلسفية نوعاً ما لم توافق الكنيسة في الغرب - لكنها قلبت في الشرق . . حيث ظهر أن الجهل بحقيقة مؤلفها لم يكن له شأن كبير . لقد إترف أوريجين السكندري ، بأن أحدا لا يعرف من ألف هذه الرسالة ، أو على حد تعبيره «* الله وحده يعلم .

لكنه ألح باصرار على أن تعاليمها تنفق وتعاليم بولس . .

أما الكتاب الرئيسي الثاني الذي تأخر الاعتراف بقانونيته فقد كان رؤيا يوحنا اللاهوتي . وفي هذه الحالة ، كان الشرق هو الذي تردد في قبوله . . ومن عجب أن يكون الغرب هو الذي قبل أولاً رؤيا يوحنا .

* «It was not by any decree of synod or council that the choice was made, but by the constant test of daily usage...»

** «Only God knows»

لقد جمعت الأناجيل معاني انجيل رباعي حوالى عام ١٥٠ م ، فكانت بذلك مجموعة رئيسية أخرى من كتب العهد الجديد . . لقد جرى العرف على رد السبب الرئيسى فى خلق شرعية العهد الجديد إلى المحاولة التى قام بها ماركيون حوالى عام ١٤٠ م ، لجمع عدد من الكتب المسيحية المقدسة لكي تستأصل نفوذ العهد القديم ، وتتعاذل مع كتبه .

لقد كان ماركيون عنيفا فى آرائه ضد اليهودية ، كما كان يعتبر بشيء من التجاوز غنوسطيا .

فقد اعتقد بان إله اليهود الذى اعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم كان فى الحقيقة الها شريراً !!

وفى محاولة ماركيون لاستئصال كل آثار اليهودية من الكتب المسيحية المقدسة ، فإنه صنف عهدا جديدا ، اقتصر على لوقا - الذى راجعه بعنف لكي يناسب آراءه العجيبة - واشتمل كذلك على الرسالة الى أهل غلاطية - وهى معروفة بنقدها للناموس ثم الرسائل :

الأولى والثانية لأهل كورنثوس - والى أهل رومية - والأولى والثانية الى أهل تسالونيكى - والى أهل افسس - والى أهل كولوسى - والى أهل فيلبى - والى فليمون .

لقد كان هذا ما عرف باسم : الانجيل والرسول - الذى اقامه ماركيون ضد : الناموس والأنبياء ، التى يشتمل عليهما العهد القديم .

« وما من شك فى أنه كانت توجد كتب مسيحية أخرى اقدم (من تلك التى تندرج فى العهد الجديد) لم تعش ، وفى الواقع فان العهد الجديد ذاته يحتوى على اشارات لمثل هذه الكتب - كما فى الرسالة الى أهل كولوسى ٤ : ١٦ وانجيل لوقا ١ : ١ - ٢ .

* «There were undoubtedly other earlier Christian writings which have not survived»

وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك بعض الكتب التي استخدمت كمصادر استقت منها الكتب الحالية وقامت على اكتافها (وخاصة الأناجيل) وبمجرد أن استخدمت تلك المجموعات الأولى من الكتب في تصانيف أكبر ، فقد بطل نسخها ثم ما لبثت أن أختفت « (١٥) .

★

وخلاصة القول فيما يتعلق بتحديد الزمان والمكان والكيفية التي اكتسبت بها الأناجيل الأربعة الصبغة القانونية ومن ثم اعتبرت كتباً مقدسة - فان أحدا لا يدري عن هذا الموضوع شيئاً . ولا يملك العلماء الا أن يقولوا: «* ليس لدينا أى معرفة محددة بالنسبة للكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الاناجيل الأربعة ، ولا بالمكان الذي تقر فيه ذلك .

وهما يجب ملاحظته هو أن كليدنت الرومى (حوالى عام ٩٧م) . وبوليكارب (حوالى عام ١١٢م) قد استشهد كل منهما بأقوال (للمسيح) في صيغ مستقلة عما في أى من الأناجيل التي صارت قانونية فيما بعد .

* * انه من المحتمل ان يكون كل من الاناجيل الاربعة القانونية قد اكتسب التداول و النفوذ عن طريق تبني احدى الكنائس الكبيرة له وعلى هذا الأساس يوجد سبب قوى لربط انجيل مرقس بروما ، ومنها يَحتمل أن يكون قد اكتسب التداول في كنائس أخرى . وأما انجيل متى - الذى يعتبر نسخة مراجعة ومطولة من انجيل مرقس - فيبدو انه كان يستخدم في أنطاكية في بداية القرن الثانى ، ويرتبط انجيل يوحنا بافسس « (١٦) .

★

وأما فيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل ، فمن الملاحظ أن عملية

(١٥) المرجع ١٦ - الجزء ٣ - ص ٦٥١ - ٦٥٣ .

* «We have no certain knowledge as to how or where the fourfold Gospel canon came to be formed.»

** «It is probable that each of the four canonical Gospels gained currency and prestige through being adopted by someone of the great churches.»

(١٦) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥١٤ .

بنائه وتقرير شرعية كتبه ، قد استغرقت حوالى ٣٥٠ عاما . فحتى بداية القرن الرابع « كان يوجد كثير من البلبلة . ويصف ايزبيوس هذا الوضع ، فيقسم الكتب الى ثلاث طبقات :

١ - كتب قبلت بوجه عام .

٢ - كتب لاتزال موضع جدل ، لكن قد اعترف بها على نطاق واسع .

٣ - كتب مرفوضة .

وينتمى للطائفة الأولى : الأناجيل الأربعة - أعمال الرسل - رسائل بولس - رسالة بطرس الأولى - رسالة يوحنا الأولى - ويمكن إضافة رؤيا يوحنا .

وينتمى للطائفة الثانية : رسالة يعقوب - رسالة يهوذا - رسالة بطرس الثانية - رسالتى يوحنا الثانية والثالثة .

وينتمى للطائفة الثالثة : رسالة أعمال بولس - راعى هرمس - رؤيا بطرس - رسالة برنابا - وبالنسبة للبعض رؤيا يوحنا » . (١٧)

الاناجيل والكتب المسيحية المرفوضة

رأينا منذ قليل إشارة إلى عدد من الكتب المسيحية التى رفضتها الكنيسة ولم تكن تلك الكتب الا نذرا يسيرا من قوائم طويلة ، تذكرها المصادر المسيحية المختلفة ، وفيما يلى بيان بأشهر هذه الكتب المرفوضة كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية :

» - إنجيل توما .

- إنجيل متى المكذوب .

- ومن بين الأناجيل العامة ، توجد أربعة تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية وهى : إنجيل العبريين - إنجيل الناصريين - إنجيل الأثنى عشر - إنجيل الأيونيين .

- إنجيل المصريين : وعرف بذلك لانتشاره بينهم ، وقد اشار له كليرمنت السكندرى ، وأوريجين .

- إنجيل بطرس : من مصدر قديم جدا ، وقيل أنه كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة . . فى الربع الأخير من القرن الثانى .

- إنجيل باسبايوس : من أصل سكندرى تكون قبل منتصف القرن الثانى .

- إنجيل ماركيون : نسخة من لوقا صنفها ماركيون .

- إنجيل أبللس : تلميذ للماركيون ، وقد فقد النص .

- إنجيل ناسينس : ينسب لطائفة غنوسية .

- إنجيل فيليب : من المحتمل أن يكون أصله قد تكون فى الربع الأخير من القرن الثانى ، وقد كانت تستخدمه طائفة غنوسية مصرية .

- إنجيل ماتياس .

- إنجيل مريم : توجد منه ثلاث قصاصات فقط ، إحداها بالقبطية .

- إنجيل برثولماوس توجد منه شرائح باللاتينية والاغريقية والقبطية ، ويستفاد منه أن يسوع سمح لبرثولماوس أن يرى الشيطان ويسأله . وقد وجده ٦٠٠ ذراع طولاً ، و٣٠٠ ذراع عرضاً ، وبحرسه ٦٠٦٤ ملاكا .

- إنجيل نيقوديموس : أصبح منتشرًا في الحقبة الأخيرة .

- إنجيل غملائيل .

- إنجيل الكمال .

وبالإضافة إلى الوثائق المذكورة آنفاً، فإنه توجد وثائق أخرى ذكرها آباء الكنائس الأولى ، ولكن لا يوجد لدينا منها أى بقايا أو نصوص ، فهى مطموسة المعالم لعلماء اليوم . ومن هذه الوثائق المطموسة :

رسالة أعمال أندراوس - إنجيل أندراوس .

إنجيل برنابا . .

إنجيل الانكراتيين - إنجيل هسيثيوس - إنجيل يهوذا

رؤيا إستفانوس - إنجيل ثداوس - إنجيل الحق

هذا بالإضافة إلى رسائل أخرى كثيرة كتبت تحكى أعمال الرسل . (١٨)

نسخ وطبع العهد الجديد

بدأ المسيح دعوته « وكان له نحو ثلاثين سنة » - حسب رواية لوقا ٣ : ٢٣ - واستمر يدعو فترة اختلف فى تقديرها ، فالبعض يرى أنها حوالى العام ، بينما يرى آخرون أنها تقرب من ثلاثة أعوام .

فاذا اعتبرنا التقدير الأخير هو الأقرب للصواب - كما هو شائع - لكان معنى هذا ، أن المسيح أستغرق الفترة من ٣٠ - ٣٣ م وهو يبشر بالإنجيل ، ويلقى حكمه ومواعظه ويعلم تلاميذه ومريديه ، ويحاور خصومه ومعانديه . فى كل هذا كانت الآرامية هى اللغة التى نطق بها المسيح والتلاميذ « والجموع » من يهود ذلك العصر . وباختصار ، كانت هى اللغة الأصلية للإنجيل . ولغة ذلك الجيل الأول الذى عاصر المسيح :

★

وبعد أن انقضت فترة تزيد عن العشرين عاما بدأ تسطير أولى الكتابات المسيحية ، وكانت تلك رسائل بولس ، الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح . ثم أعقب ذلك فترة أخرى تقدر بنحو الخمسة عشر عاما ، ظهر بعدها أقدم الأناجيل ، وهو إنجيل مرقس ، الذى لم يكن أيضاً من تلاميذ المسيح .

وفى كل ذلك كانت الإغريقية هى اللغة التى وصلتنا بها أقدم النسخ من أولى الكتب المسيحية التى صارت فيما بعد كتباً مقدسة . وبذلك تكون أقدم نسخة عرفت من الإنجيل إنما هى ترجمة إغريقية عن الآرامية . ولا تزال الأناجيل - بعد ترجمتها من الإغريقية إلى مختلف اللغات - تحمل بين طياتها بقايا من تلك اللغة الآرامية : لغة المسيح والإنجيل .

★

ولقد رأينا فيما سبق أن العهد الجديد - الذى هو كتاب إغريقى من أوله الى آخره - لم يكتب قانونيته ، وتحدد محتوياته على النحو الذى نعرفه اليوم ، الا قرب نهاية القرن الرابع الميلادى .

فقد انقضى نحو ٣٥٠ عاما بعد ميلاد المسيح حين أمكن الوصول إلى إجابة تقريبية للسؤال الهام :

أى الكتابات المسيحية تعتبر مقدسة ، وتجمع معا لتكون فى العهد الجديد؟

ولكن الى الآن - وبعد أن اقترب الالف الثانى لميلاد المسيح - لم يمكن الوصول الى السؤال الأهم ، بل والأخطر - الا هو :

أى الأقوال : نطق بها المسيح فى إنجيله ، وتحدث بها التلاميذ فى رسائلهم ؟

لقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة ، وكلما مرت عشرات من السنين ظهرت نفس الأناجيل بنصوص مخالفة لما عرفت به من قبل . وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ .

إن مشكلة « النص » تعتبر بحق مشكلة المشاكل التي تشغل بال العلماء اليوم ، والتي إستحدثت بسببها دراسات وعلوم ، مثل النقد ، الذي يهدف أول ما يهدف إلى معرفة حقيقته النص الأصلي. فحين يمكن تحقيق ذلك ، تتحدد كثير من المواقف ويصبح في الإمكان بعث التوحيد في العقيدة المسيحية ويتحقق الأمل الذي يراود الكثير من المسيحيين - وغيرهم من المؤمنين - في الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة ، بدلا من تلك العقائد المسيحية المختلفة ، التي عرفت - ولا تزال تعرف - منذ عرف إسم المسيح إلى اليوم ، والتي اصطبغت في أغلب عهودها بصراعات دموية ، تمثل تطبيقا معاكسا لكل ما جاء به المسيح .

تقول دائرة المعارف البريطانية : « ان النسخ الأصلية (الاغريقية) لكتب العهد الجديد فنيت منذ مدة طويلة ، (وفيما عدا بعض بقايا من صعيد مصر) فان كل النسخ التي استخدمها المسيحيون في الفترة التي سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير .

وما يجب ذكره ، أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل في أى من نصوص العهد الجديد : الاغريقية أو اللاتينية .

إن السبب الرئيسي لهذه الحالة العجيبة يجب رده إلى التغييرات الواسعة ، التي انتشرت في القرون الأولى . فبالنسبة لرسائل بولس ، نجد أننا لو صرفنا النظر عن حوالي ست قراءات مختلفة تماماً ، فإن النص يشبه أقدم إنتاج منها ، ولو أن به كثير من أخطاء الكتابة . إلا أن التغييرات الحادثة غير ذات قيمة ، وأغلبها قابل للشرح والتأويل من سياق الكلام . وبإختصار يمكن القول بأن هذه التغييرات عرضية .

* «Greek Mss., The original autographs of the New Testament books have long since perished, and (except for a few fragments, all from Upper Egypt) the same fate had overtaken all the mss. used by Christians in the ante-Nicene period.»

« أما موقف الأناجيل فعلى العكس من ذلك إذ أن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد مثل اضافة او ادخال فقرات باكملها. وبالتأكيد فان بعضا منها قد استمد من مصدر رخارجي (١٩) » .

ويقول جورج كيرد : « إن أول نص مطبوع من العهد الجديد كان ذلك الذى قدمه ارازموس عام ١٥١٦ ، وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص فى مخطوطات نسختها أيدي مجهدة لكتابة كثيرين . ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلاف كبيراً ، ولا يمكننا الاعتقاد بان أيمنها قد نجا من الخطأ . ومهما كان الناسخ حى الضمير ، فانه ارتكب أخطاء وهذه الأخطاء بقيت فى كل النسخ التى نقلت عن نسخته الأصلية .

إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة (٢٠) » .

★

وقد جرى العرف على درج النصوص المختلفة تحت ثلاث مسميات رئيسية هى :

« النص البيزنطى : وهو تنقيح أخذ الصورة التى قدم بها الانجيل إلى

* «In the Gospels on the other hand, the characteristic variations are intentional, such as the addition or insertion of whole passages, some of which must certainly have been supplied from an external source.»

(١٩) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥١٩ - ٥٢١ .

(٢٠) المرجع ٨ - ص ٣٢ .

المطرائية المسيحية الجديدة في القسطنطينية ، ولقد أخذ من مجموعة من النصوص المنتشرة آنذاك ، مزجها رجال الاكليروس

النص السكندري : ويبدو أن له بعض الصلة بالعالم المسيحي أوريجين ، الذى كان - حسب معلوماتنا - اول من اولى العناية لمعرفة النص الدقيق لكلمات الأناجيل ، وعمل مقارنة بين النصوص المختلفة .

النص الغربى : وهو ليس غربيا فى المعنى الجغرافى ، كما انه ليس تنقيحا محمداً .

انه بصورة أدق ، يعنى النصوص فى حالتها دون تصحيح فى الفترة التى سبقت مجمع نيقية (عام ٣٢٥) وخصوصا منذ حوالى عام ١٥٠ م - عندما جمعت الأناجيل معا لأول مرة تحت غلاف واحد حتى عهد قسطنطين (٢١) .

★

ولقد جرت محاولات كثيرة لامكانية إستخراج نص واحد تنفق عليه غالبية النصوص المعروفة ، لكن النتيجة كانت سلبية ، واستمرت هذه المحاولات عقيمة حتى اليوم وفى هذا تقول دائرة المعارف البريطانية :

« انه أمل لا طائل من ورائه أن نتصور إمكانية الوصول إلى النص الأصيل ، وذلك عن طريق ترتيب النص السكندري ، والنص الغربى القديم ، والنص الشرقى القديم (البيزنطى) ، ثم قبول النص الذى يتفق عليه اثنان منهم ضد الآخر » (٢٢) .

★

الحق ان الله وحده يعلم حقيقة من كتب اسفار العهد الجديد ، وحقيقة ما كتبوا . « والله الذى انزل الكتاب بالحق » يعلم حقيقة انجيل المسيح : ما بقى منه ووصلتنا اخباره ، وما انظمت معاملته وعميت علينا انبأؤه فى غيابات الجهالة والنسيان .

(٢١) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥٢١ .

* «It is a vain hope to imagine that we can arrive at the original text by constructing the Alexandrian, the old-Western, and the old-Eastern texts, and then accepting the agreement of either two against the other.»

(٢٢) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥٢١ .